

للدكتور صالح المهدي

الراوي - (لقطة على مدينة بنزرت القديمة)

نشأ خميس الترنا في مدينة بنزرت الخالدة من اشهر مراسى الشمال التونسي 1894 ف عائلة اندلسية الاصل استقرت الولا بالجزائر حيث كانت تلقب بالغلاب ثم لقب بتقون بلقب بالزاوي واخير استقر لديها لقب الترنا لما شاتهر به افرادها من اصوات جميلة رنانة ، وقد كان يقال "خميس ترنا صاحب الصوت الرنا "

الذي ادخله والده المرحوم الشيخ لعي الترنا الى الكتاب ليحفظ ما يتيسر من القران الكريم مثل اتراية من كامل البلاد الاسلامية

(كتاب ومؤدب بعصاه وتلاميذ يقران ، منهم الطفل خميس الذي يظهر تقوفا في الحفظ والحرص عل بالكتابة ونراه يكتب اللوحة ويقول :

خميس : "وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قومي ابتعوا المرسلين"
انعم سيدي اشنوه راس لوحتي ؟

(يتحول المنظر الى المدينة القديمة ونرى بعض الرجال بللاباس التقليدي الكبوة والسورية - والجة مع الكشطة المطروزة الى دكان الحياكة يظهر به الطف خميس جالسا بالارض يقوم بتدوير الدوامة)

الراوي : وعد خروجه من الكتاب يستقر خميس بدكان والده حيث يتعلم الحياكة ويطبق المثل العامي القائل :صنعة به لا يعايروه وهناك يتتقف بحديث الحرفاء واصدقاء والده الذين يزرونه ويجلسون لديه بعض الوقت .

وكثير اما يرافق الطفل خميس والده الى زاوية الولي الصالح سيدي المسطارب اصيل مدينة مسطار ببوغسلافيا القريبة من دكانه لحضور حلقات المولدية أي انشاد قصة مولد الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .

او بعض الطرق الصوفية مثل القادرية والسلامية والعيساوية التي تقوم بمسيرة بشوارع المدينة بمناسبة حفلات الختان والزفاف وذهاب احد الاعيان الى الحج ورجوعه منه وذلك ابتداء من زاوية سيدي المسطاري تباركا بهذا الولي الذي يسمي اهل بنزرت ابناهم باسمه

وهكذا تكونت للطفل خميس ملكة فنية ميزته في الغناء وفي الايقاع وصار يشارك في هذه الحفلات والمسيرات رفقة والده (خرجة مع عروس من سيدي المسطاري بها تلاوة الفاتحة ثم قطعة غنائية تقليدية ونرى خميس وهو يغني ويضرب النفرات)
نرى المعلم السيد عبد الرحمن قيقة يمشي ويتوقف بركان على الترنان ويأخذ في الحديث اليه
قيقة : السلام عليكم

على الترنان : وعليكم السلام ورحمة الله يا مرحبا - زارتنا البركة- بر يا ولد جيب قهوة للسيد المعلم - احنا فرحنا كي شفناك تتحدث مع مدير المكتب بوبرطلة وانت تعنطر عليه باللي عمل ما نجمناش نهضموه -يتعدى كل يوم قدام الحانوت ويصبح علينا "بنجور ويضحكلنا -
احد العملة : يا عرفي هاك النهار دخل للحانوت يسأل عليك وقال يحبك تجيب ولدك خميس للمكتب .

على الترنان : دويو؟ يحب يطلع هولي كافر ؟ ويحضرو باش يحملو العسكر ويكون منو جندي مطيع؟

قيقة : لا ياسي علي انا جيتك بالذمة لها الموضوع

انا في المكتب نقرى بالعربي وبالفرانسية وراه ولدك اعتبرو ولدي يتعلم الحساب العلم ونزيدك زيادة راه اذا حب ربي ونجملنا في الشهادة الابتدائية يمنع من خدمة العسكر انشاء الله
على الترنان : انا عندي ثقة فيك اذا كان يمنع من خدمة العسكر هذا شي مليح
قيقة: هاي الجريدة تأكد كلامي (ويريه جريدة عربية)

على الترنان : كي هكة الله يبارك

قيقة : امالا غدوة انشاء الله يصبح بالمكتب

على الترنان : وحفظو للقران هو كمل القلم الاول ولا بد باش يكرر القلم الثاني

قيقة ما وفي العشية وتوتشوف ما يكون كان خير

على الترنان : اجايا خميس سلم على سيدك وغدوة تصبح بحذاه في المكتب

(ساحة المدرسة يرى قيقة واقفا مع المدير يضحكان ويرى خميس عازفا على التفحل والتلاميذ

حول يصفقون ثم يصفر المدير وينادي قيقة تو الكعب وفي هي للقراية وما قال الناس - هي يا

خميس هات هاك الفحل نخبي هولك حتى الغدوة

الراوي : واخذ بعد ذلك الشاب خميس يتدرب على آلة العود الشرقي مع رفيقيه صالحالعباسي

والحاج بن صالحه في بيت هذا الاخير خفية)

بن صالحه : شوف شوف يا خميس هذاعود هايل جبتو البارح من تونس وهو من صنع عبد
العزیز جمیعل تكلفنا بستة فرنك

العباسي : ما وزوز فرنك كل واحد ؟

خمس البارح قعدنشوف في الفرقة الطرابلسية في قهوة الحشاني ونثبت في العواد كيفاش يقعد
الاوتار بداها بالثاني وقالي اسمونوا ، من بعد الخامس وبعد الاول ثم الثالث وارابع
العباسي وشريتش لسططونات (مفتقلتا لابن صالحه)

ابن صالحه ومنين الفلوسو ؟ تسلفت اسطوانة من قهوة ولد قريحة يغني فيها الشيخ يوسف
الملاوي وماادراك وعدني باش يسلفين ديمة اذا ساعدنا على الاسطوانات ووعدني زادة باش
نقدمو فصل في قهوتو عندما نجملوا برانامج كامل

العباسي : حتى الحساني اللي قهوتو على البحر وعدني باش يخلينا نعملوا فصل عندو
الترنان : ايا هات هاك العود ويزيو من الاكلام وربي يستر لا ولدنا يفتنوا اللي احنا نتعلموا في
العود لا يكسروه هلى ريوسنا .

الراوي واستمر الثالث الغنائي في حفظ الاسطوانات الشرقية من تساجيل الفنانين المنيلاوي وعبد
الحي حليم ، وسلامة مجازي والشيخ سالم الكبير ومحمد ابو العلاء

ثم قدمو حفلات بالمقهي المشهورة واستجاب لهم الجمهور وهكذا استغنت بهم بنزرت عن
جلب الغرق الفنية من تونس العاصمة ولكن حان دون استمرار بروزهم امام الجمهور اندلاع
الحرب العالمية الاولى وجبرا غلب الشبان على الخدمة العسكرية الفرنسية وارسلهم للحرب باروبا
(ين اباة الثلاثة شبان يتحدثون)

العباسي : البلاد خلات من املها كل الشبان ادواهم للحرب

بن صالحه الدنيا وقفت ما عدا ثمة من يخدم السواني في زرزونة والا في مجميل حتى الكبار
سخرورهم لخدمة لباير

على الترنان : توه عدهم عيطو لولدنا للعسكر كيف لخرين سيادي في عوض اشتغلوا بيا للنبي
وكان خذا الشهادة راهم رتاحو ورتحونا

العباسي : المقدر كاين ولمكتوب لازم ينتم

بن صالحه وعسي ان تكرهو شيئا وهو خير لكم

الراوي ودارت الايام ونودي سنة 1917 على الاصحاب الثلاثة للاشتغال في مرسيليا سحرين
لخدمة تنزيل ورفع البضاعة الحربية للبواخر ضمن الجيش الفرنسي ولا مفر للشباب خمس ترنان
من هذا الغناء الذي يجبره على العمل المهني لفائدة الاجنبي المستعمر

امتثل المسكين وذهب للعاصمة التي يزورها لأول مرة ولا يعرف بها اخا ثم تذكر ان له صديقا
من عهد الطفولة يدرس بجامع الزيتون ويقطن لمدرسة العصفورية هو الشيخ ادريس الشريف

الذي تولى القضاء في الثلاثينات بينزرت وكان له دور نضالي هام ف قضية التجنيس
الاستعمارية

وقال يستقبل هذا الزميل ويسكنه معه في بيته بالمدرسة ويقمي له حفلا يحضره جميع من الطلبة
(قل مجموعة طالة بالجيباب والشواشي يغني في الترنان ويتابعه الطلبة" من غناء البلابل ونوع
الحمام يعطع بدخول ساب يشربان القرعة للخدمة الاجبارية قد تاخرت لموعده سيعلن عنه
فيما بعد ويفرح الطلبة لذلك

التلميذ : السلام عليكم وهاتو البشارة ؟ الشيخ ادريس : اعطيه يا بن صالحه كاس تاي وهات
اش عندك ؟

التلميذ آش عندي؟ خوكم خميس باش يبقى معنا مدة طويلة

الشيخ ادريس : كيفا

التلميذ القرعة تاخرت لمدة مازالو ما عينوها (التلاميذ يفرحون ويصفقون)

احدهم : يا خميس يا خموس ان شاء الله لباير الكل في فرسيليا تمشي فلوس ؟

آخر : يمكن الحرب باش تنتهي ؟

ثالث خليك يا راجل

رابع : المهم خونا خميس بقى معنا

هي : (ويعيدون المقطع "مرحبا واهلا بسيد الملاح ")

الراوي ويرى الشاب خميس انه لا بدله من القام بعمل ليساهم في تكاليف اقامته في انتظار موعد
القرعة ويتعاقد مع صاحب مقهى "زماره " الملاهي لسيدي الشاذلي قرب باب عليوة لاقامة فصل
طرب مساء يوم الجمعة حرره جمع غفير من الشبان كان من بينهم احد بساط على حرس الباي
الذي ما ان لاحظ جمل صوت خميس الترنان حتى خرج واتى لحينه برئيسه السيد محمد العيد
صهر ملك البلاد الناصر باي (يدخل الابطان باحتشام اثناء ارتجال غناء الترنان "لا تخفى ما
فعلت بك الاشواك ... " وموشح حبي ملك الملاح " ويحصران انتهاء الحفلة ويجعو "العيد" الشاب
الترنان لحفل يقيمه في الغد في بيته ويستجيب الترنان (في بيت العيد وخيمس الترنان يغني ويعد
عليه الجمهور طلعب الفلبي بعقلي " وما ان ينتهي بالتصفيق والاعجاب حتى تقول الفتاة الوحيدة
بالحفل للعيد)

الفتاة : يعجبك يا سي العيد صوت كيفين هذا يمشي مع خدامة مريسليا فيني مكانتك عند البار ؟

ما عليك ان تصبح عندو انت والقنبوة متاك ؟ وتتداخل باش سي خميس ما يميشيش علينا

العيد : وهو سكران بلازمة الدنيا والدين ما يمشيها توه تشوف يا خميس ما تصنع الرجال غين

غين وما تخاف من شي (يقود الترنان للغناء مع الجماعة) سل سيف اللاخط عمدا وسبي به

صان ... "

(يرى صف السبان في انتظار القرعة بثكنة القصبة والترنان من بينهم وهو يقول في نفسه "زعمة
يدصى العيد...؟ وحتى كان